الكتاب الثالث

الإســـلام والشعـــر

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

القرآن الكريم والشعر

يزعم بعض النقاد من العرب والمستشرقين أن الإسلام منذ أشرق بنوره على شبه الجزيرة العربية جعل يخمد نار الشعر التى كانت تضيئ هذه المنطقة منذ مائة وخمسين سنة قبل البعثة المحمدية .

وكانت حجة هؤلاء النقاد من العرب والمستشرقين فى العصر الحديث ومن سبقوهم من قدامى النقاد فى العصر العباسى ، بعض الآيات القرآنية التى تحدثت عن الشعر فراحوا يتخبطون فى تفسيرها .

يقول الله تعالى فى سورة الأنبياء :

«اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون * ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون * لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون * قال ربى يعلم القول فى السماء والأرض وهو السميع العليم * بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون»[1] .

والآيات الكريمة تنبيه من الله عز وجل إلى الناس بعامة والمشركين بخاصة على اقتراب الساعة ، وأن هؤلاء المشركين ما يأتيهم قرآن من الله سبحانه وتعالى مجدد نزوله ، مذكرهم بما ينفعهم ويفيدهم إلا استمعوه وهم مشغولون عنه ، بمالا فائدة منه ، ويسلكون فى حياتهم السلوك الطفولى ، ولم يتأملوا ما فى القرآن الكريم الذى أنزله الحق سبحانه وتعالى على رسوله من خير .

وتتحدث الآيات عن موقف المشركين من الرسول عليه الصلاة والسلام فهم لا يؤمنون به ، بزعمهم أنه بشر مثلهم ، ولماذا اختص بالوحى دونهم .

---

(١) سورة الأنبياء الآيات ١ ـ ٥ .

وراحوا يقولون فيما بينهم ، أفتتبعونه فتكونون كمن يأتى بالسحر وهو يعلم أنه سحر ، فيرد الله سبحانه وتعالى عليهم عما افتروه بأن الذى يعلم ذلك لا يخفى عليه خافية وهو الذى أنزل هذا القرآن المشتمل على خير الأولين والآخرين الذى لايستطيع أحد أن يأتى بمثله إلا الذى يعلم السر فى السموات والأرض .

وتصف الآية الأخيرة تعنت المشركين وكفرهم ، وتتحدث عن آرائهم فى القرآن وتخبطهم فى تفسير معجزته ، فتارة يقولون عنه سحرا ، وتارة يقولون عنه أضغاث أحلام ، وتارة يقولون إنه مفترى ، وتارة يقولون إنه شعر ، وأن رسول الله عليه الصلاة والسلام شاعر يؤثر فى نفوس الناس كما يحدث مع الشعراء .

فالآية الأخيرة اخبار عن تعنت الكفار واختلافهم فيما يصفون به القرآن فقالوا عنه أنه شعر ، وهى ليست إنكارا من الله سبحانه وتعالى للشعر .

ويقول الله تعالى فى سورة الشعراء :

هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك أثيم * يلقون السمع وأكثرهم كاذبون * والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون * وأنهم يقولون مالا يفعلون * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون [١] .

يخاطب الله سبحانه وتعالى فى هذه الآيات الكريمة الكفار الذين راحوا يزعمون أن القرآن الكريم الذى أتى به الرسول عليه الصلاة والسلام ليس بحق ، وأنه كلام من وضعه أو جاء من الجان ، فنزه الحق سبحانه وتعالى رسوله مما يفترون ، وأكد أن هذا القرآن الكريم من عند الله جل شأنه وأنه وحيه نزل به جبريل الأمين ، وأنه ليس من عند الجان أو الشياطين .

---

(١) الآيات ٢٢١ ـ ٢٢٧ .

وكيف ينزل القرآن الكريم من عند الشياطين وهو يدعو إلى الخير بينما تدفعنا الشياطين إلى الشر . إن الشياطين ينزلون على كل من هم صورة مستوحاة منهم وهم الكهان الذين يتصفون بالكذب والفسق .

فالقرآن الكريم ليس بالشعر كما يزعم الكفار ، ومحمد عليه السلام ليس بشاعر كما يقولون ، ولقد أبطل الحق سبحانه وتعالى هذا الوصف الذى ألصقه المشركون بكتابنا المقدس وبرسولنا ﷺ ، وأكد أن القرآن الكريم هدى ونور وخير وعدل للبشرية .

ووجه الحق سبحانه وتعالى حديثه إلى الكفار فأثبت لهم انهم يتبعهم ضلال الإنس والجن .

ويعنى الله جل شأنه أن لغة القرآن الكريم تختلف عن لغة الشعر الجاهلى ، وبينما القرآن عدل وصدق ، كان شعر ما قبل الإسلام فى كثير منه كذب وباطل ومنكر .

وكان الشاعران فى العصر الجاهلى يتهاجيان ، ويذكر كل منهما سوءات الآخر فى شعره ، وكان ينتصر لهذا مجموعة من الناس ، ولهذا مجموعة أخرى فكانت العصبية القبلية التى رفضها القرآن الكريم وأنكرها . لأن الشاعر الجاهلى كان فى قصيدته يمدح أناسا بالباطل ، ويذم آخرين بالباطل . فالشاعر يقول فى شعره مالا يفعله .

وتذكر الروايات أنه لما نزلت الآية الكريمة (والشعراء يتبعهم الغاوون) جاء شعراء المسلمين - حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحه وكعب بن مالك - إلى رسول الله ﷺ وهم يبكون وقالوا : قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء فتلا النبى عليه الصلاة والسلام (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقال : «أنتم» (وذكروا الله كثيرا) ، وقال : «أنتم» (وانتصروا من بعد ما ظلموا) ، وقال : «أنتم» ... ولكن هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الأنصار وغيرهم حتى يدخل فيه من كان متليسا من شعراء الجاهلية بذم الإسلام وأهله ثم تاب وأناب ورجع وأقلع وعمل صالحا وذكر الله كثيرا فى مقابلة ما تقدم من الكلام

السيئ . فإن الحسنات يذهبن السيئات ، وامتدح الإسلام وأهله فى مقابلة ما كان يذمه . ويردون على المشركين الذين كانوا يهجون المؤمنين الذين اعتنقوا الإسلام[١] .

ويقول الله تعالى فى سورة يس :

***وما علمناه الشعر وما ينبغى له - إن هو إلا ذكر وقرآن مبين * لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين*[٢]** .

وفى الآية الأولى يؤكد الحق سبحانه وتعالى أنه ما علم الرسول عليه الصلاة والسلام ، الشعر ، وما هو فى طبعه فلا يحسنه ولا يحبه ولا تقتضى مكونات شخصيته ومكانته السامية الرفيعة أن يكون شاعرا . لأن القرآن الكريم الذى أنزل على النبى ﷺ ينطق بالحق والعدل والصدق بينما الشعر الجاهلى يقوم على الهوى والكذب والمنكر . والقرآن الكريم ليس بشعر كما كان يزعم مشركو قريش ، وليس بالكهانة أو السحر الذى يقوم على الضلال . ولهذا كانت طبيعة الرسول عليه الصلاة والسلام تأبى نظم الشعر لأنه ليس أهلا له ، وإنما أنزل الحق سبحانه وتعالى عليه القرآن الكريم لينذر به كل حى عاقل .

ويقول الله تعالى فى سورة الصافات :

***إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون * ويقولون إئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون * بل جاء بالحق وصدق المرسلين*[٣]** .

والآيات تتحدث عن موقف الكفار من مشركى قريش مع الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتأييد الحق سبحانه وتعالى لنبيه .

وهؤلاء الكفار كانوا إذا قيل لهم : لا إله إلا الله يتعالون ويستكبرون ، ولا يقرون بهذا ويقولون أنحن نترك عبادة آلهتنا وآلهة آبائنا عن قول هذا

---

(١) ابن كثير : تفسير القرآن الكريم ص ٣٥٤ - ٣٥٥ - الجزء الثالث .
(٢) سورة يس الآيتان ٦٩ - ٧٠ .
(٣) سورة الصافات الآيات ٣٥ - ٣٧ .

الشاعرالمجنون ويعنون رسول الله ﷺ وجعلوا يسبون النبى الكريم ويتهمونه كذبا وبهتانا بأنه مستور العقل ، فيرد الحق سبحانه وتعالى عليهم بأن محمدا عليه الصلاة والسلام جاء بالحق ليدعوهم إلى عبادة الله جل شأنه الأحد الصمد وأنه بذلك صدق دعوة المرسلين فيما أخبروا عنه من الصفات الحميدة والمناهج السديدة وأخبر عن الله سبحانه وتعالى فى شرعه وأمره كما أخبروا .

ويقول الله تعالى فى سورة الطور :

فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون * أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون * قل تربصوا فإنى معكم من المتربصين(١) .

فى هذه الآيات الكريمة يذكر الحق سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بأن يبلغ رسالته إلى الناس ، وينكر الله جل شأنه ما يلصقه به أهل الشرك من تهم باطله ، وأن نبيه الكريم ليس بحمد الله بكاهن كما يزعم كفار قريش لأن الكاهن الذى يأتيه الرئى من الجان بالكلمة يتلقاها من خبر السماء ، كما أنه ـ الرسول ـ ليس بمجنون الذى يصيبه الشيطان باللوثة والجنون والمس .

ويقول الكفار من مشركى قريش ننتظر ونصبر عليه حتى يأتيه الموت فنستريح منه ومن أمره ، وينكر الحق سبحانه وتعالى عليهم حديثهم ويهددهم وينذرهم ويقول لهم جل شأنه ، انتظروا فإنى منتظر معكم وستعلمون لمن تكون العاقبة والخير فى الدنيا والآخرة .

ويذكر ابن كثير رواية فى تفسير الآية :

أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون .

ويقول : إن قريشا لما اجتمعوا فى دار الندوة فى أمر النبى ﷺ قال قائل منهم احتبسوه فى وثاق وتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء ـ زهير والنابغة ـ إنما هو كأحدهم فأنزل الله تعالى ذلك من قولهم(٢) .

---

(١) سورة الطور الآيات ٢٩ ـ ٣١ .

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ص ٢٤٣ ـ الجزء الرابع .

ويقول الله تعالى فى سورة الحاقة :

«فلا أقسم بما تبصرون * ومالا تبصرون * إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين * ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين»[1] .

فى هذه الآيات يقسم الحق سبحانه وتعالى لخلقه بما يبصرونه من آياته فى مخلوقاته الدالة على كماله فى أسمائه وصفاته ومالا يبصرونه من عالم الغيب أن القرآن الكريم لمن كلامه ووحيه أنزله على رسوله ﷺ واختاره من بين عباده واصطفاه لتبليغ الرسالة لمكانته الرفيعة ، وأن هذا القرآن الكريم ليس بحديث شاعر كما يزعم الكفار من مشركى قريش وقليلا ما يكون منهم إيمان بأن القرآن الكريم من عند الله . وليس القرآن بسجع كسجع الكهان الذى يعرفونه ، وقليلا منهم من يدرك الفرق بين القرآن الكريم وسجع الكهان إنه كتاب مقدس أنزله الله تعالى على نبيه .

ولو أن الرسول كما كان يزعمون مفتريا على الله سبحانه وتعالى فزاد فى الرسالة أو نقص منها أو ذكر كلاما من عنده فنسبه إلى الحق جل شأنه - وهو ليس كذلك - لحاسبه الله تعالى حسابا عسيرا .

وتذكر الروايات أن هذه الآيات كانت من الأسباب التى أدت إلى اسلام سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وتقول الروايات أن عمر بن الخطاب عندما خرج يعترض رسول الله ﷺ قبل إسلامه فوجد الرسول قد سبقه إلى المسجد فقام خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعل يعجب من تأليف القرآن وقال عمر : هذا والله شاعر كما قالت قريش ، وعندما قرأ الرسول عليه السلام (إنه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون) فقال عمر ، كاهن ، وعندما قرأ النبى ﷺ (ولا بقول كاهن

---

(١) سورة الحاقة الآيات ٣٨ - ٤٢

قليلا ما تذكرون ، تنزيل من رب العالمين ، ولو تقول علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين) ... إلى آخر السورة قال عمر : فوقع الإسلام فى قلبى كل موقع[١].

وهذه الآيات القرآنية التى لفظت الشعراء من المشركين والشعر بمفهومه ومضمونه وأغراضه التى كان عليها فى الجاهلية ، جعلت كثيرا من قدامى النقاد والمحدثين يزعمون أن الإسلام أنكر الشعر وقلل من أهميته .

قال الأصمعى :

«الشعر نكد ، يقوى فى الشر ، فإذا دخل فى الخير ضعف ولان ... هذا حسان فحل من فحول الشعراء فى الجاهلية ، فلما جاء الإسلام سقط شعره[٢].

وقال ابن سلام :

«فجاء الإسلام وتشاغلت عن الشعر العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته»[٣] .

وقال ابن خلدون :

«اعلم أن الشعر كان ديوانا للعرب ، فيه علومهم وأخبارهم وحكمهم ... ثم انصرف العرب عن ذلك أول الإسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحى ، وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه ، فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض فى النظم والنثر زمانا»[٤] .

وراكب آراء الأقدمين بعض النقاد من العرب والمستشرقين المحدثين .

يقول جورجى زيدان :

---

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ص ٤١٧ ـ الجزء الرابع .
(٢) ابن عبدالبر القرطبى : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ص ١٢٧ ـ الجزء الأول .
(٣) ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ص ٢٢ ـ الجزء الأول .
(٤) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٧

«أكثر شعراء الجاهلية من الفرسان والأمراء وأهل الحرب ، وأكثر أشعارهم فى الفخر والحماسة بما بين قبائلهم من التنازع ، ومرجع ذلك كله إلى العصبية . كل قبيلة تطلب الفضل لنفسها على سواها ، فلما جاء الإسلام وجمع كلمة العرب ، وذهبت العصبية الجاهلية ، لم تبق حاجة إلى الشعر والشعراء ، ناهيك باشتغال أهل المواهب والقرائح بالحروب فى الجهاد لنشر الإسلام وبالأسفار ، وقد أدهشتهم أساليب القرآن ، وأخذتهم النبوة ، وانصرفت قرائحهم الشعرية إلى الخطابة لحاجتهم إليها فى استنهاض الهمم وتحريك الخواطر للجهاد»[١] .

ومن بين هؤلاء الذين أنكروا الشعر الإسلامى «عمر فروخ»[٢] و(بنت الشاطئ)[٣] وشكرى فيصل[٤] .

وتفترق بنا السبل مع قدامى النقاد والمحدثين ، وإننا لا نستطيع أن نقر الأصمعى عندما يزعم أن الشعر نكد ، يقوى فى الشر ، فإذا دخل فى الخير ضعف ولان ، وأن حسان بن ثابت كان فحلا من فحول الشعراء فى الجاهلية فلما جاء الإسلام سقط شعره .

ولعل الأصمعى يعنى بحديثه هذا الشعر الجاهلى بموضوعاته المختلفة ، من هجاء كان يقوم على العصبية والنعرة القبلية ووصف الخمر ، وغزل حسى فاحش ، ومدح قائم على الكذب والنفاق وتفاخر بالأنساب . وكلها موضوعات نهى عنها الدين الإسلامى وأنكرها القرآن الكريم . وكيف يطلب الأصمعى من حسان شاعر الإسلام والرسول أن يظل على ما كان عليه فى الجاهلية وهو الرجل الذى اعتنق الإسلام . وكان يبكى عند تلاوة الآيات التى تنذر مثل هؤلاء الشعراء الذين يتبعهم الغاوون ، ويهيمون فى كل واد ، ويقولون مالا يفعلـون .

---

(١) جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ص ١٩٥ ـ ١٩٦ ـ الجزء الأول .

(٢) عمر فروخ : تاريخ الأدب العربى ص ٢٥٧ ـ الجزء الأول .

(٣) بنت الشاطئ : قيم جديدة للأدب العربى ص ٦٦ .

(٤) شكرى فيصل : تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ص ١٩٠ .

وأقول ، لقد كان حسان بن ثابت شاعرا مخضرما وكان أجود ما يكون فى الإسلام ، لأن شعره عقب اعتناقه الإسلام تميز بصدق العاطفة .

ومع إيماننا بأن العرب مع فجر الإسلام تشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، لكن هذه الفتوحات لم تصرفهم عن نظم الشعر كما يزعم ابن سلام ودليلنا على هذا حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحه وكعب بن مالك ، وغيرهم من الشعراء ، بل إن هذه الفتوحات الإسلامية كانت تبعا اغترف منه بعض الشعراء قصائدهم الشعرية . كما سنرى فيما بعد .

ومع إيماننا بأن المسلمين قد تشاغلوا بأمر الدين الجديد والنبوة والوحى وأنهم انبهروا بأسلوب القرآن الكريم .

أقول مع إيماننا بهذا كله لكننا ننكر ما زعمه ابن خلدون ولا نقره عندما يقول إن أمر الإسلام والنبوة والوحى واعجاز القرآن انضب معينهم فأخرسوا وامتنعوا عن النظم والنثر .

وكذلك فإننا نرفض رأى الناقد العربى الحديث جورجى زيدان الذى كان صورة مستوحاة من كلام وآراء الأصمعى وابن سلام وابن خلدون .

إننا نختلف مع جميع النقاد القدامى والمحدثين الذين زعموا أن الاسلام صرف العرب عن الشعر فى فجر الإسلام .

وأقول ، إن القرآن الكريم أنكر بعض الأغراض التى لا تتمشى مع الإسلام بتعاليمه وقيمه .

إن الآيات القرآنية تعنى هؤلاء الشعراء من مشركى قريش والأغراض الشعرية التى نظموا فيها وأنكرها كتابنا المقدس .

لقد نهى الإسلام عن الغزل الفاحش والخمر ، والنعرة القبلية ، فالإسلام دين المساواة والعدل ، ولا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى .

ومن الظلم للشعر العربى فى فجر الإسلام أن نقارنه بالشعر الجاهلى من ناحية الوفرة والكم ، فالتراث الجاهلى كان محصلة مائة وخمسين عاما ، بينما

الشعر العربى الذى نظمه الشعراء فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين كان محصلة أربعين سنة ، وتخللت هذه المدة الغزوات والفتوحات التى وقعت فى أثناء العصر .

ومن العجيب الغريب أنه بينما ينكر قدامى النقاد الشعر العربى فى فجر الإسلام ، ويزعمون أن العرب أخرسوا عن خوض النظم فيه لأن القرآن الكريم نهاهم عن ذلك ، يزعم بعض المستشرقين وجود شعر فى كتابنا المقدس . ومن هؤلاء «بروكلمان» الذى راح يحرف آراء محاولات النحاة العرب بحيث يستغلها للنيل من عقيدتنا الإسلامية والقرآن الكريم ، فجعل يورد الكثير من الآيات التى تجرى على البحور الشعرية والأوزان[١] .

ونحن نرفض آراء بروكلمان بل نلفظها ، ودليلنا على هذا الآيات القرآنية التى أوردناها فى الصفحات الأولى وشرحناها . ومنها آيات سورة الحاقة التى يقول الله سبحانه وتعالى فيها :

«فلا أقسم بما تبصرون * ومالا تبصرون * إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون ، تنزيل من رب العالمين» .

فالقرآن الكريم ليس شعرا أو سجعا كسجع كهان الجاهلية ـ كما أشرنا من قبل ـ وإنما هو تنزيل من الله سبحانه وتعالى وتنزيه عن أن يكون شعرا ، لأنه من عند الله ولا يتميز بسمات الشعر .

وأقول ، إننا فى لغتنا اليومية وكلامنا نجد مثل (مستفعلن وفاعلن) كثيرا فهل نعد لغتنا اليومية شعرا .

يقول محمد مصطفى هدارة :

«فالقرآن إذن فى نفيه أن تكون آياته شعرا صادق من الناحية الفنية كل الصدق»[٢] .

---

(١) بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ص ١٣٧ ـ الجزء الأول .

(٢) محمد مصطفى هدارة : دراسات فى الشعر العربى ص ٢٦ (الجزء الأول) .

الفصل الثانى

الشعر فى فجر الإسلام

زعم بعض النقاد القدامى أن الرسول عليه الصلاة والسلام نظم شعرا ، وينسبون إليه هذه الأبيات :

والله لولا الله ما اهتدينا

ولا تصدقنا ولا صلينا

انا إذا قوم بغوا علينا

وان أرادوا فتنة أبينا

فأنزلن سكينة علينا

وثبت الاقدام إن لاقينا[1]

وقالوا إن النبى ﷺ قال هذه الأبيات يوم الأحزاب ، ونسبوا إليه هذا البيت :

لا عيش إلا عيش الآخرة

فاغفر للأنصار والمهاجرة

وعلق ابن هشام على البيت قائلا : هذا كلام وليس برجز ، ونرى أن هذا البيت مضطرب الوزن[2] .

اننا نرفض هذا الزعم ولا نقر هؤلاء الذين جعلوا ينسبون الشعر إلى الرسول عليه الصلاة والسلام . ونقول إنه لم ينظم الشعر .

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ص ٣٢٨ ـ الجزء الثانى .

(٢) ارجع إلى :

أ ـ ابن هشام : السيرة النبوية ص ٤٩٦ ـ الجزء الأول .

ب ـ محمد مصطفى هدارة : دراسات فى الشعر العربى ص ٣٣ (الجزء الأول) .

وكيف ينظم الرسول ﷺ الشعر وكان خلقه القرآن ، ويقول عنه الله سبحانه وتعالى فى سورة يس :

﴿وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين﴾ .

وتذكر الروايات انه عليه الصلاة والسلام كان لا يحفظ بيتا على وزن منتظم بل إن أنشده زحفه أو لم يتمه وقالوا انه كان يتمثل بصدر البيت كقوله :

ـ كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا ـ فقال أبو بكر رضى الله عنه يا رسول الله .

ـ كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا ـ قال أبو بكر أو عمر رضى الله عنهما : أشهد أنك رسول الله يقول تعالى (وما علمناه الشعر ومايتبغى له) .

ونذكر أيضا الروايات أنه كان يتمثل بعجز بيت طرفة .

ـ ويأتيك بالأخبار من لم تزود ـ

وهو عجز بيت من معلقة طرفة بن العبد منها :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ويأتيك بالأخبار من لم تبع له

بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

وقيل للسيدة عائشة رضى الله عنها : «هل كان النبى عليه الصلاة والسلام يتمثل بشئ من الشعر ؟ قالت كان يتمثل ببيت أخى بن قيس فيجعل أوله آخره وآخره أوله» ... فقال أبو بكر رضى الله عنه : (ليس هذا هكذا يا رسول الله (.. فقال رسول الله ﷺ : (انى والله ما أنا بشاعر وما ينبغى لى)[1] .

---

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ص ٥٧٩ ـ الجزء الثالث .

وكما نسب المفكرون القدماء شعرا للرسول عليه الصلاة والسلام ، فقد زعموا كذلك أن الخلفاء الراشدين (أبو بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان) رضى الله عنهم نظموا شعرا[١] .

ونحن نرفض آراء هؤلاء المفكرين القدماء ولا نقرهم فيما نسبوه من شعر إلى الخلفاء الراشدين ، ذلك لأن أبو بكر وعمر وعثمان كانوا يسيرون على هدى الرسول عليه الصلاة والسلام وكان لهم فيه أسوة حسنة .

وإذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام لم ينظم الشعر امتثالا لأمر الحق سبحانه وتعالى كما جاء فى القرآن الكريم وليس عن ضعف أو جهل ، فإننا نراه قد شجع الشعراء من المسلمين وحثهم على نظمه للدفاع عن العقيدة الإسلامية . بحيث تتمشى موضوعاته مع ما جاء به الكتاب المقدس .

ووجدنا شعراء الإسلام وقد ابتعدوا عن الموضوعات الجاهلية التى نهى عنها القرآن الكريم من غزل فاحش ونعرة قبلية .

قال حسان بن ثابت فى هجاء أبى جهل :

لقد لعن الرحمن جمعا يقودهم
دعى بنى شجع لحرب محمد
مشوم لعين كان قدما مبغضا
يبين فيه اللؤم من كان يهتدى
فدلاهم فى الغى حتى تهافتوا
وكان مضلا أمره غير مرشد
فأنزل ربى للنبى جنوده
وأيد بالنصر فى كل مشهد[٢]

---

(١) ابن رشيق القيروانى : العمدة ص ٢٠ ـ الجزء الأول .
(٢) حسان بن ثابت : الديوان ص ٢٣٣ .

فى هذه المقطوعة يهجو الشاعر أبا جهل رأس الشرك ويصفه بالكذب والنفاق واللؤم وفى البيت الأخير يتحدث عن انتصار الرسول والمسلمين على مشركى قريش وزعيمهم أبى جهل .

وفيه أيضا قال :

وإن تك مطعام العشيات من غنى

فإنك حياد عن الحق مانع

وزادك ذم فى الحياة وإن تمت

فحظك ركن من جهنم واسع[١]

وكان أبو جهل قد اعتاد أن يلبس ثيابا خضرا ويطعم الناس فى داره ، فنظم حسان فيه هذين البيتين يتهمه فيه بأنه يحيد عن الحق وأنذره بنار جهنم.

وهذا كعب بن مالك يهجو قريشا فيقول :

فكب أبو جهل صريعا لوجهه

وعتبة قد غادرته وهو عاثر

وشيبة والتيمى غادرن فى الوغى

وما منهم إلا بذى العرش كافر

فأمسوا وقود النار فى مستقرها

وكل كفور فى جهنم صائر

وكان رسول الله قد قال : اقبلوا

فولوا وقالوا : إنما أنت ساحر[٢]

فى هذه المقطوعة يهجو الشاعر مشركى قريش ويعيرهم بكفرهم وعبادتهم الأصنام وينذرهم بجهنم .

---

(١) حسان بن ثابت : الديوان ص ٢٦٣ .

وأنت واجد الشاعر فى البيت الأخير بخاصة وقد تأثر بآيات القرآن الكريم

ويقول كعب بن مالك فى هجاء يهود بنى النضير :

لقد خزيت بغدرتها الجبور
كذاك الدهر ذو صرف يدور
وذلك انهم كفروا برب
عزيز أمره أمر كبير
وقد أرتوا معا فهما وعلما
وجاءهم من الله النذير
فقالوا : ما أتيت بأمر صدق
وأنت بمنكر منا جدير
فقال : بلى ، لقد أديت حقا
يصدقنى به الفهم الخبير
فلما أشربوا غدرا وكفرا
وحاد بهم عن الحق النفور
أرى الله النبى برأى صدق
وكان الله يحكم لا يجور
فأيده وسلطه عليهم
وكان نصيره نعم النصير
فتلك بنو النضير بدار سوء
أبارهم بما اجترموا المبير[1]

---

(١) كعب بن مالك : الديوان ص ٢٠٣ .

فى هذه الأبيات يهجو كعب بن مالك يهود بنى النضير ، ويعيرهم بكفرهم ويأخذهم على انكارهم نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ، وما نسبوه إليه .

وكما نظم الشعراء المسلمون شعرا فى هجاء مشركى قريش والكفار فقد نظموا شعرا فى مدح الرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين .

يقول كعب بن مالك فى مدح الرسول عليه الصلاة والسلام :

فينا الرسول شهاب ثم يتبعه
نور مضئ له فضل على الشهب
بدا لنا فاتبعناه نصدقه
وكذبوه فكنا اسعد العرب[1]

ويقول أيضا فى الرسول ﷺ :

وفينا رسول الله نتبع أمره
إذا قال فينا القول لا نتطلع
تدلى عليه الروح من عند ربه
ينزل من جو السماء ويرفع[2]

وأنت واجد فى مدح كعب للنبى عليه الصلاة والسلام شعرا يختلف عن صناعة المديح عند شعراء الجاهلية ، فرأينا الشعر وقد تميز بصدق العاطفة وجسد الشاعر فى أبياته قيم الإسلام ومثله ، وإيمانه بالعقيدة الإسلامية التى أوحى بها الله سبحانه وتعالى على رسوله الكريم .

ويقول حسان بن ثابت فى الرسول عليه الصلاة والسلام :

متى يبد فى الداجى البهيم جبينه
يلح مثل مصباح الدجى المتوقد

---

(١) كعب بن مالك : الديوان ص ١٧٤ .
(٢) الديوان ص ٢٢٤ .

فمن كان أو من قد يكون كأحمد

نظام لحق أو نكال لملحد[١]

فأنت واجد الشاعر فى هذين البيتين يمدح النبى ﷺ بما هو أهل له ، فقد جاء ليخرج الناس من ظلام الجاهلية إلى نور الإسلام .

ويقول فى الخليفة أبى بكر رضى الله عنه :

وثانى اثنين فى الغار المنيف وقد

طاف العدو به إذ صعد الجبلا[٢]

وكان حب رسول الله قد علموا

من البرية لم يعدل به رجلا[٣]

فى هذين البيتين نجد الشاعر فى مدحه الخليفة أبى بكر رضى الله عنه ، يضمن شعره بروح القرآن الكريم ومعانيه وأسلوبه ، ويستشهد فى المقطوعة الشعرية بحدث ورد ذكره فى كتابنا العظيم .

يقول الله تعالى فى سورة التوبة :

***إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم*[٤] .**

وتقول الروايات إن الرسول عليه السلام عندما أنشد حسان هذا الشعر ـ الذى نظمه فى الصديق ـ ضحك ثم قال :

«صدقت يا حسان ، هو كما قلت»[٥] .

---

(١) حسان بن ثابت : الديوان ص ٣٨٠ .
(٢) الغار الذى اختفى فيه الرسول عليه السلام وأبو بكر كان بجبل ثور قريب من مكة .
(٣) حسان بن ثابت : الديوان ص ٣٩٤ .
(٤) سورة التوبة الآية ٤٠ .
(٥) حسان بن ثابت : الديوان ص ٣٩٤ .

وقال حسان فى الأنصار :

قومى الذين هم أووا نبيهم
وصدقوه وأهل الأرض كفار
إلا خصائص أقوام هم سلف
للصالحين مع الأنصار أنصار
مستبشرين بقسم الله قولهم
لما أتاهم كريم الأصل مختار
أهلا وسهلا ففى أمن وفى سعة
نعم النبى ونعم القسم والجار
فأنزلوه بدار لا يخاف بها
من كان جارهم دارا هى الدار
وقاسموه بها الأموال إذ قدموا
مهاجرين وقسم الجاحد النار
سرنا وساروا إلى بدر لحينهم
لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلاهم بغرور ثم أسلمهم
إن الخبيث لمن والاه غرار
وقال انى لكم جار فأوردهم
شر الموارد فيه الخزى والعار
ثم التقينا فولوا عن سراتهم
من منجدين ومنهم فرقة غاروا[1]

(١) الديوان ص ٣٨٨ ـ ٣٨٩ .

فى هذه الأبيات يفخر الشاعر بقومه من الأنصار الذين آزروا الرسول عليه الصلاة والسلام ونصروه ، وجسد حسان فى المقطوعة الشعرية بعض المواقف الكريمة للأنصار مع النبى ﷺ .

ولم يكتف الشعراء المسلمون بهذه الأغراض التى تحدثنا عنها ، بل نراهم وقد نظموا فى موضوعات أخرى .

يقول عبدة بن الطبيب :

أبنى إنى قد كبرت ورابنى
بصرى ، وفى المصلح مستمتع
فلئن هلكت لقد بنيت مساعيا
تبقى لكم منها مآثر أربع
ذكر إذا ذكر الكرام يزينكم
ووراثة الحسب المقدم تنفع
ومقام أيام لهن فضيلة
عند الحفيظة والمجامع تجمع
ولهى من الكسب الذى يغنيكم
يوما إذا احتضر النفوس المطمع
ونصيحة فى الصدر صادرة لكم
مادمت أبصر فى الرجال وأسمع
أوصيكم بتقى الإله فإنه
يعطى الرغائب من يشاء ويمنع
وببر والدكم وطاعة أمره
إن الأبر من البنين الأطوع

إن الكبيـــر إذا عصـــاه أهلـــه
ضاقـــت يـــداه بأمـــره مـــا يصنـــع
ودعـوا الضغينـة لا تكن من شأنكم
إن الضغائـــن للقرابـــة توضـــع
واعصوا الذى يزجى النمائم بينكم
متنصحـــا ، ذاك السمـــام المنقـــع
يزجـــى عقاربـــه ليبعـــث بينـــكم
حربا كما بعث العـــروق الأخـــدع
حـــران لا يشـــفى غليـــل فـــؤاده
عســل بمـــاء فـــى الإنـــاء مشعشـــع
لا تأمنـــوا قومـــا يشـــب صبيهـــم
بـــين القوابـــل بالعـــداوة ينشـــع
فضلت عداوتهـــم عـــلى أحلامهـــم
وأبـــت ضبـــاب صدورهـــم تنـــزع
قـــوم إذا دمـــس الظـــلام عليهـــم
حدجـــوا قنافـــذ بالنميمـــة تمـــزع
أمثـال زيـــد حـين أفســـد رهطـــه
حتـــى تشتـــت أمرهـــم فتصدعـــوا
إن الذيـــن ترونهـــم إخوانـــكم
يشفى غليل صدورهم أن تصرعـوا
وثنيـــة مـــن أمـــر قـــوم عـــزة
فرجـت يـداى فكـان فيهـا المطلـع

ومقـــام خصـــم قاتـــم ظلماتـــه
مـــن زل طـــار لـــه ثـــناء أشنـــع
أصدرتهـــم فيـــه أقـــوم درأهـــم
عـــض النقـــاف وهـــم ظمـــاء جـــوع
فرجعتهـــم شـــتى كـــأن عميدهـــم
فـى المهـــد يـــرث ودعيتـــه مرضـــع
ولقـــد علمـــت بـــأن قصـــرى حفـــرة
غبـــراء يحملنـــى إليهـــا شرجـــع
فبـــكى بناتـــى شجوهـــن وزوجـــتى
والأقربـــون إلـــى ، ثـــم تصدعـــوا
وتركـــت فـــى غـــبراء يكـــره وردهـــا
تـــــغى عـــلى الريـــح حـــين أردع
فإذا مضيت إلـى سبيلـى فابعثـوا
رجـــلا لـــه قلـــب حديـــد أصمـــع
إن الحـــوادث يخترمـــــن ، وإنمـــا
عمـــر الفتـــى فـى أهلـــه مستـــودع
يسعـى ويجمـــع جاهـــدا مستهـــترا
جـــدا ، وليـــس بآكـــل مـــا يجمـــع
حـــتى إذا واتـــى الحمـــام لوقتـــه
ولكـــل جنـــب لا محالـــة مصـــرع
نبـــذوا إليـــه بالســـلام فلـــم يجـــب
أحدا وصـــم عـــن الدعـــاء الأسمـــع[1]

---

(١) المفضل الضبى : المفضليات ص ١٤٥ وما بعدها .

وقد أنشد عبدة بن الطبيب ـ الشاعر المخضرم الذى أدرك الإسلام فأسلم ـ هذه القصيدة عندما تقدم به العمر وضعف بصره ، فجمع أبناءه وجعل يذكر لهم ما خلف من مآثر باقية ، وجعل ينصحهم بتقوى الله وبر الوالدين ، وأوصاهم بالاتحاد وأن ينبذوا التفرقة والخلاف ، وأمرهم بالتخلى عن النفاق والخداع والرياء . وأن ينبذوا الضغائن بين أهلهم وذويهم حتى لا يتسرب الحقد إلى قلوب أقاربهم .

ولما كان عبدة بن الطبيب قد نظم هذه القصيدة فى أيامه الأخيرة ، فقد راح فى الجزء الأخير منها يتحدث عن الموت وأنه نهاية كل إنسان فى الحياة الدنيا ولا مفر منه وأنه لا حيلة لإنسان مهما منح من القوة أو الجاه فى دفع المنية عنه . لذلك يوصيهم الشاعر خيرا فى الحياة الدنيا من تقوى الله وطاعته وبر الوالدين والإحسان إليهما وحب الناس وودهم .

وأنت واجد الشاعر فى أبيات القصيدة وقد أثرت فيه مبادئ الإسلام وقيمه ، ورفرف عليها روح القرآن الكريم بأسلوبه ومعانيه ، وفى كتابنا المقدس كثير من الآيات التى تدعونا إلى الإيمان بالله وحده ، وبر الوالدين والعلاقات الطيبة مع الآخرين .

وأزعم أن الشاعر قد اتخذ من وصايا «لقمان الحكيم» لابنه والتى ورد ذكرها فى القرآن العظيم هاديا فى قصيدته ووسيلة لتوصيل فكرته إلى القارئ أو المستمع .

يقول الله تعالى فى «سورة لقمان» :

***وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم * ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير * وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون * يا بنى إنها إن تك**

مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير ، يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور * ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور * واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير*[١] .

ونظم شعراء فجر الإسلام شعرا فى الشكوى :

أبلـــغ أمـــير المؤمنـــين رسالـــة
فأنـت أمـين اللـه فـى النهـى والأمـر
وأنت أمـين اللـه فينـا ومـن يكـن
أمينا لرب العرش يسلم له صدرى
فلا تدعـن أهـل الرساتيـق والقـرى
يسيغون مال اللـه فـى الأدم الوفـر
فأرسـل إلى الحجاج فاعـرف حسابه
وأرسل إلى جزء وارسـل إلـى بشـر
ولا تنســين النافعـــين كليهمـــا
ولا ابن غـلاب مـن سراة بنى نصر
ومـا عاصـم منهـا بصفـر عيابـه
وذاك الذى فى السوق مولى بنى بدر
وارسـل إلى النعمان فاعـرف حسابـه
وصهـر بنـى غـزوان وانـى لـذو خبـر
وشبـلا فسلـه المـال وابـن محـرش
فقد كان فى أهل الرساتيق ذا ذكر

(١) سورة لقمان الآيات من ١٣ ـ ١٩ .

فقاسمهم ـ نفسى فداؤك ـ انهم

سيرضون ان قاسمتهم منك بالشطر

ولا تدعونى للشهادة أننى

أغيب ولكنى أرى عجب الدهر

نؤوب إذا آبوا ونغزوا إذا غزوا

فأنى لهم وفر ولسنا أولى وفر[١]

وقد أرسل الشاعر «يزيد بن الصعق» هذه القصيدة إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ونراه فيها وقد صور بعض الولاة الذين نصبوا حكاما على أقاليم الدولة الإسلامية فى ذلك الوقت ، رجد الشاعر فى الأبيات استغلال هؤلاء الحكام لمناصبهم وتجاوزهم أسس المبادئ والمساواة والعدل التى كان يجب أن يتصفوا بها فجمعوا الأموال ولم يحسنوا التصرف فيها .

وهكذا نجد الشعراء لم يسكتوا ولم يقفوا مكتوفى الأيدى فعبروا فى شعرهم عن مساوئ هؤلاء الولاة ووجه الشاعر هذه الرسالة ـ التى كتبها فى صورة قصيدة ـ إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليحاسبهم ويقوم اعوجاجهم .

ومن الأغراض الأخرى التى تظم فيها شعراء فجر الإسلام «الرثاء» .

قال حسابن بن ثابت فى رثاء (حمزة) رضى الله عنه :

أتعرف الدار عفا رسمها

بعدك صوب المسبل الهاطل

بين السراديح فأدمانة

فمدفع الروحاء فى حائل[٢]

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٤٧٣ .

(٢) سراديح : جمع سرادح وهو الوادى أو المكان المتسع .

ساءلتهـــا عـــن ذاك فاستعجمـــت

لـــم تـــدر مـــا مرجوعـــة السائـــل

دع عنـــك دارا قـــد عفـا رسمهـا

وابـــك علـــى حمـــزة ذى النائـــل

المالـــئ الشـــيزى إذا أعصفـــت

غبـراء فـــى ذى السنـــة الماحـــل

والتـــارك القـــرن لـــدى لبـــده

يعثر فـــى ذى الخـــرص الذابـــل[1]

واللابـــس الخيـــل إذا أحجمـــت

كالليـــث فـــى غاباتـــه الباســـل[2]

أبيـــض فـــى الـــذروة مـــن هاشـــم

لـــم يمـــر دون الحـــق بالباطـــل

مـــا لشهيـــد بـــين أرماحـــكم

شلـــت يـــدا وحشـــى مـــن قاتـــل

وإن امـــرأ غـــودر فـــى ألـــة

مطـــرورة مارنـــة العامـــل[3]

أظلمـــــت الأرض لفقدانـــــه

واســـود نـــور القمـــر الناصـــل

صـــلى عليـــك اللـــه فـــى جنـــة

عاليـــــة مكرمـــــة الداخـــــل

---

(١) القرن : الذى يقاوم فى القتال .

(٢) اللابس الخيل : الذى يغشى الخيل وفرسانها .

(٣) الألة : الحربة ، مطرورة : محددة ، مارنة : لينة ، العامل : الرمح .

كنـــا نـــرى حمـــزة حـــرزا لنـــا
مـــن كـــل أمـــر نابنـــا تـــازل
وكـــان فـــى الإســـلام ذا تـــدرإ
لـم يـــك بالوانـــى ولا الخـــاذل[١]
لا تفرحـى يـــا هـــند واستحلبـــى
دمعـــا وأذرى عبـــرة الثاكـــل
وابكـــى عـــلى عتبـــة إذ قطـــه
بالسيـــف تحـــت الرهـــج الجائـــل
إذ خـــر فـــى مشيخـــة منـــكم
مـــن كـــل عـــات قلبـــه جاهـــل
أرداهـــم حمـــزة فـــى أســـرة
يمشـــون تحـــت الحلـــق الذائـــل[٢]
غـــداة جبريـــل وزيـــر لـــه
نعـــم وزيـــر الفـــارس الحامـــل[٣]

فى هذه القصيدة يرثى حسان بن ثابت حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه الذى استشهد فى أثناء قتال الكفار فى غزوة أحد ، وتكشف الأبيات عن أثر الفجيعة ووقعها فى نفوس المسلمين .

ونجد الشاعر وقد سلك فى رثائه منهجا يتمشى مع مبادئ الدين الإسلامى فتحدث عن حمزة رضى الله عنه وما قام به من أعمال جليلة عقب اعتناقه الإسلام ، ووقوفه مع الرسول عليه الصلاة والسلام فى كثير من المواقف ينصره ويشد أزره ويعلى كلمة الحق والدين .

---

(١) ذا تدرأ : ذا قوة .
(٢) الحلق : الدروع .
(٣) حسان بن ثابت : الديوان ص ٢١٩ وما بعدها .

ولقد كان المسلمون يتسابقون من أجل الشهادة وكانوا يسارعون لقتال المشركين حتى يفوزوا بها فيكونوا من أهل الجنة ، وهذا ما صوره حسان بن ثابت فى قصيدته التى رثى بها عم النبى عليه الصلاة والسلام .

وأنت واجد الشاعر وقد أورد فى مرثيته سيرة حمزة الطيبة ، واستشهاده فى سبيل الله والدين وفوزه بالجنة التى سيدخلها فى الدار الآخرة لأنه قتل من أجل الحق ، وبذلك جعل حسان معانى القصيدة وأفكارها تتفق وروح الإسلام والقرآن .

يقول الله تعالى فى سورة محمد :

***فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدو الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم * سيهديهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنة عرفها لهم*[١]** .

ويقول تعالى فى سورة البقرة :

***ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون*[٢]** .

ويقول تعالى فى سورة آل عمران :

***ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما أتاهم من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين * الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم*[٣]** .

---

(١) سورة محمد الآيات ٤ ـ ٦ .
(٢) سورة البقرة الآية ١٥٤ .
(٣) سورة آل عمران الآيات ١٦٩ ـ ١٧٢ .

ويرثى «كثير بن الفريزة النهشلى» نفسه ورفاقه من الشهداء فيقول :

فـلا تستبعـدا يومـى فإنـى
سأوشـك مـرة أن تفقدانـى
ويدركنـى الـذى لابـد منـه
وإن أشفقـت مـن خـوف الجنـان
وتبكيـنى نوائـح معـولات
تركـن بـدار معـترك الزمـان
حيائـس بالعـراق منهنهـات
سواجـى الطـرف كالبقـر الهجـان
أعاذلنـى مـن لـوم : دعانـى
وللرشـد المبـين فاهديانـى
وعاذلتـى صوتكمـا قريـب
وتنفعكمـا بعيـد الخـبر وان
فـردا المـوت عـنى إن أتانـى
ولا وأبيكمـا لا تفعـلان[1]

فى هذه القصيدة يرثى الشاعر نفسه ورفاقه من المسلمين الذين استشهدوا على أرض فارس فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ووجدنا «كثير النهشلى» يصور فى الأبيات اللحظات الأخيرة قبيل استشهاده من أجل الإسلام والحق .

وأنت واجد القصيدة وقد تميزت بصدق العاطفة ، وجسدت لوحة ناطقة لمشاعر الإنسان وأحاسيسه فى هذه اللحظات .

---

(١) الأصفهانى : الأغانى ص ٢٧٨ الجزء الحادى عشر .

وفى البيت الأخير يقرر الشاعر أن الحياة الدنيا التى نحياها مصيرها إلى زوال ، مهما طال عمر الإنسان . وهذا ما يؤكده لنا كتابنا العظيم .

يقول الله تعالى فى سورة العنكبوت :

كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون(١)

ويقول تعالى فى سورة السجدة :

قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون(٢)

وهكذا ، نجد الشعراء فى فجر الإسلام وقد جعلوا قصائدهم تتمشى مع روح القرآن الكريم وأفكاره ومعانيه ، وتتمشى وقيم الإسلام ومثله .

وما عرضناه من نماذج للشعر الإسلامى كان على سبيل المثال لا الحصر .

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٥٧ .

(٢) سورة السجدة الآية ١١ .

obeikandl.com

الفصل الثالث

الرسول والخلفاء ونقد الشعر

قلنا إن الشعر قد تأثر بالدين الحنيف ، وراح شعراء المدينة مع شعراء مكة قبل فتحها فى معارك أدبية ، فوجدنا حسان بن ثابت يمدح الرسول عليه السلام وينادى بدعوته .

ومع ذلك كان هناك بعض الشعراء الذين لم يستطيعوا التخلص من الموضوعات الجاهلية التى نهى عنها الإسلام ، كالخمر والهجاء والعصبية القبلية ومن أشهر هؤلاء الحطيئة .

يقول شوقى ضيف :

«على أن من الشعراء من ظلوا بعيدين عن روح الإسلام على نحو ما هو معروف عن الحطيئة ، فقد ظل يهجو على طريقة أسلافه ، ويقذف الناس بحجارة الهجاء المقذعة ومثله عندة بن الطبيب وأبو محجن الثقفى إذ نراهما ينظمان فى الخمر التى حرمها الإسلام وحرم معها جملة الآثام التى كان يرتكبها العرب فى الجاهلية . ومن وجهة التعبير الفنى الخالص قلما اتضحت فروق بين شعر هذا الجيل وشعر الجاهليين ، وممن يصور ذلك تمام التصوير المخبل السعدى وسويد بن أبى كاهل والشماخ .

«وشعراء صدر الإسلام لا يميلون بهذه الظاهرة لسبب بسيط وهو أنهم نشأوا فى الجاهلية ، وعرفوا فيها مثلا من الشعر ظلوا مرتبطين به بعد اسلامهم ولعلنا إذا زعمنا بعد ذلك أن النقد لم يتغير ولم ينشط فى هذه الفترة كنا مصيبين ، فقد شغل العرب عن الشعر بالقرآن والفتوح وقلما تسمع حديثا عن الشعر»[1] .

---

(١) شوقى ضيف : النقد ص ٢٩ .

ومع إيماننا بأن العرب قد شغلوا فى الإسلام بالقرآن والفتوح ، لكن السبل تفترق بنا مع شوقى ضيف عندما يزعم أن النقد فى ذلك العصر لم يتغير ولم ينشط وإن الاسلام لم يهتم بالشعر ، ولعله بذلك يواكب آراء قدامى النقاد والمستشرقين .

أعنى أن الرسول والخلفاء الراشدين والعرب قد اهتموا بالشعر ، وكانت لهم أحكام نقدية صحيحة ذكرتها كتب التراث .

وراح الشعراء فى صدر الإسلام يتخذون من شعرهم سلاحا للدفاع عن العقيدة الجديدة وتعاليمها ، وواكب الشعراء موكب الإسلام ، فهذا النابغة الجعدى[١] ، ينشد الرسول شعرا فيقول :

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ... ويتلو كتابا كالمجرة نيرا

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا ... وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال رسول الله ﷺ :

ـ «إلى أين أبا ليلى» ؟

فقال :

ـ إلى الجنة .

فقال رسول الله ﷺ :

ـ «إن شاء الله» .

وأنشده :

ولا خير فى حلم إذا لم تكن له ... بوادر تحمى صفوة أن يكدرا

ولا خير فى جهل إذا لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

---

(١) هو عبدالله بن قيس ، وقال البعض أن اسمه قيس بن عبدالله ، من جعده بن كعب بن ربيعه ، وأخوه جعده عقيل وقشير والحريس ، وكان يكنى أبا ليلى ، وهو جاهلى ويقال أنه أقدم من النابغة الذبيانى لأن النابغة نادم النعمان وهذا نادم أباه» .

فقال رسول الله ﷺ :

ـ (لا يغضضن الله فاك)

قـــال :

ـ فبقى عمرة لم تنقص له سن[١] .

وللرسول الكريم آراء نقدية قيمة فى مفهومه للشعر ، أوردها ابن رشيق فى كتاب العمدة ، وهى آراء تتمشى مع العقيدة الإسلامية التى بعث من أجلها .

يقول عليه الصلاة والسلام عن الشعر :

«الشعر كلام من كلام العرب جزل تتكلم فى بواديها ، وتسل به الضغائن من بينها» .

ويقول أيضا :

«إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن ، وما لم يوافق الحق فلا خير فيه» .

ويقول كذلك :

«إنما الشعر كلام ، فمن الكلام خبيث وطيب»[٢] .

فالشعر عند الرسول ﷺ كلام ، لكنه ليس بالكلام العادى الذى يتحدث به الناس فى حياتهم اليومية ، وإنما يتسم كلامه بالنظم وتتميز ألفاظه بالجزالة .

كما يرى الرسول الكريم أنه على الشاعر أن يكون صادقا مع شعره ، فمن وافق الحق فهو شعر حسن ، ومن كان شعره باطلا ، فشعره قبيح لا خير فيه .

وهكذا ، نجد أن تفسير الرسول عليه السلام لمفهوم الشعر ، يتمشى مع الإسلام بمبادئه وتعاليمه ، ولذلك فأننا نرفض الزعم الذى ساقه قدامى النقاد وبعض المستشرقين حيث قالوا إن الإسلام استهجن الشعر وقضى عليه .

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٢٨٩ ، الجزء الأول .
(٢) ابن رشيق : العمدة ـ ص ٢٧ ـ الجزء الأول .

وحقيقة أن العقيدة الجديدة كانت تعمل فى أجل القضاء على النعرة القبلية والعصبية وظاهرة الأخذ بالثأر ، وكلها كانت من رذائل العصر الجاهلى جاهد الإسلام فى الحد منها ، ومع إيماننا بأن العرب فى صدر الإسلام قد انشغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، أقول مع إيماننا بهذا كله لكن السبل تفترق بنا مع شوقى ضيف الذى يزعم بأن هذه الفتوحات قد شغلت المسلمين عن الشعر كما نرفض أن يكون هذا الجهاد على أساس لفظ هذا الجنس من الأجناس الأدبية كما ذكرنا من قبل .

وفى قصيدة كعب بن زهير ، بانت سعاد التى أنشدها أمام الرسول عليه الصلاة والسلام مضمان يدعم رأينا .

وتقول الروايات عن هذه القصيدة ، أن الرسول الكريم أعجب بها ، وفى البيت الذى يقول فيه كعب :

ان الرسول لنور يستضاء لـه مهند من سيوف الهند مسلول

نرى الرسول يغير من أحد ألفاظه ويعدله بقوله :

ان الرسول لنور يستضاء لـه مهند من سيوف الله مسلول[١]

والحقيقة أن هذا التغيير فى اللفظ ، إنما أراد به الرسول أن يوجه الشاعر وغيره من الشعراء المسلمين إلى ضرورة انتقاء الألفاظ التى تتمشى مع الدين الحنيف والعقيدة السمحة التى تؤمن بالواحد الحق .

نعم ... أن سيوف الله أمضى من سيوف البشر ، لأنها من أجل الحق ، وعندما يعدل الرسول الكريم فى بيت كعب بن زهير فانه بذلك يكشف عن نقد يعتمد على الشكل والمضمون ، ويتجه إلى اللفظ والمعنى ـ لقد كان عليه السلام ذواقة للشعر .

وبلغ اعجاب الرسول بالقصيدة إلى حد انه وهب بردته إلى الشاعر .

---

(١) ابن رشيق : العمدة ص ٧ جـ ١ .

وفى رواية أخرى لابن رشيق ان فتيلة بنت النضر بن الحارث عقب مقتل والدها عرضت للنبى وهو يطوف فاسترقته وجذبت ردا ، حتى انكشف عن منكبيه ، وأنشدته شعرا منه :

أمحمد ولدتك خير نجيبة ... فى قومها والفحل فحل معرق

ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق

فالنضر أقرب من قتلت قرابة ... وأحقهم من كان عتق يعتق

ويروى ابن رشيق وابن الأثيران النبى عليه السلام بعد سماعه لهذا الشعر انذرف الدمع من عينيه وقال :

«لو سمعت شعرها هذا قبل قتله لمننت عليه»[1] .

ومن يرجع إلى ابن رشيق فى العمده ، يجده قد جعل الكثير من صفحاته للحديث عن مكانة الشعر فى الإسلام .

وهذا التفسير الذى وضعه الرسول فى مفهوم الشعر ، نراه عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى نقده لزهير بن أبى سلمى .

يقول صاحب الاغانى فى رواية له عن ابن عباس :

«خرجت مع عمر فى أول غزوة غزاها ، فقال لى ذات ليلة :

ـ يا ابن عباي انشدنى لشاعر الشعراء .

قلت :

ـ ومن هو يا أمير المؤمنين ؟

قال :

ـ ابن أبى سلمى .

---

(١) ارجع إلى :

أ ـ ابن رشيق : العمدة ص ٥٦ جـ ١ .

ب ـ ابن الأثير : الكامل ص ٩١ جـ ١ .

قلت :

ـ وبم صار كذلك .

قال :

ـ لأنه لا يتبع حوشى الكلام ، ولا يعاظل فى المنطق ، ولا يقول إلا ما يعرف ، ولا يمدح إلا بما فيه ، أليس الذى يقول :

إذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية ... من المجد من يسبق إليها يسود

سبقت إليها كل طلق مبرز ... سبوق إلى الغايات غير مزند

فلو كان حمد يخلف الناس لم يمت ... ولكن حمد الناس ليس بمخلد

أنشدنى : فأنشدته حتى برق الفجر ، فقال :

ـ حسبك الآن : اقرأ القرآن»[1] .

تؤكد هذه الرواية تذوق عمر بن الخطاب للشعر ، وإحساسه بما فيه من جمال ، يتمثل فى سهولته وبعده عن حوشى الكلام ، أو الغريب من الألفاظ الذى يستهجنه الذوق العربى .

وتتمثل جودة شعر زهير بن أبى سلمى عند ابن الخطاب فى التزامه الصدق الشعرى فى الحياة ومع الناس .

هذا المقياس الذى فسر به الخليفة عمر شعر ابن أبى سلمى ، هو فى الحقيقة صورة مستوحاة من أقوال الرسول فى الشعر ، وما نقد عمر لزهير إلا هدى من أثر النبى عليه الصلاة والسلام عن الشعر .

وخلاصة القول ، أن النقد فى عهد الإسلام قد بدأ بتشجيع الرسول عليه الصلاة والسلام له ، فكان يتذوق الشعر وينشده لأصحابه .

وإذا كان الشعر قد اتخذ من نفسه بوق دعاية للعقيدة الجديدة ، وراح يدافع عنها ، ويتغنى بالقيم والمثل الإسلامية ، ومدح الرسول ، وهجاء الكفار

---

(١) الاصفهانى : الأغانى ص ٢٩٠ ـ ٢٩١ ـ جـ ١٠ .

فاننا نجد أن هذه الأسس الجديدة التى دخلت على الشعر قد انعكست على النقد ، فكانت المقاييس التى تتمشى مه روح الإسلام ، واتجه النقد إلى الكشف عن سيئات خصوم الدعوة وعمل النقاد من أجل الحط من أفكار شعراء المشركين ، وكان هذا يستدعى من نقاد الإسلام مقابلة الحجة بالحجة ، فاتجه النقد إلى الموضوعية ، وراح نقاد العصر الإسلامى يدعون الشعراء والأدباء إلى التزام الصدق فى القول ، والسلاسة فى الكتابة والبعد عن الغريب وتطور النقد فى ذلك العصر إلى ما يشبه التعليل وشئ من التفصيل ونوع من الموضوعية بينما كان اعتماده فى العصر الجاهلى على الفطرة الذاتية .

obeikandl.com

obeikandl.com

مراجع الكتاب الثالث

١ ـ القرآن الكريم :

٢ ـ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، القاهرة . عيسى الحلبى .

٣ ـ ابن عبدالبر القرطبى : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، القاهرة المطبعة الشرقية .

٤ ـ ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ـ تحقيق محمود شاكر ـ القاهرة ، مطبعة المدنى .

٥ ـ ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، القاهرة . دار الشعب .

٦ ـ ابن هشام : السيرة النبوية ـ شرح السقا ـ القاهرة . عيسى الحلبى ١٩٥٥ .

٧ ـ ابن رشيق : العمدة ـ تحقيق محمد محى الدين ـ القاهرة ١٩٥٥ .

٨ ـ ابن قتيبة : الشعر والشعراء ـ تحقيق أحمد شاكر ـ القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٦ .

٩ ـ ابن الأثير : الكامل ، القاهرة . المطبعة الأزهرية ١٣٠١هـ .

١٠ـ الاصفهانى : الأغانى ، القاهرة . دار الكتب .

١١ـ البلاذرى : فتوح البلدان ـ تحقيق صلاح الدين المنجد ـ القاهرة . مكتبة النهضة المصرية .

١٢ـ المفضل الضبى : المفضليات ـ تحقيق أحمد شاكر ـ القاهرة . دار المعارف (الطبعة الرابعة) .

١٣ـ بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ـ ترجمة عبدالحليم النجار ـ القاهرة . دار المعارف ١٩٥٩ .

١٤ـ بنت الشاطى : قيم جديدة للأدب العربى ، القاهرة . دار المعرفة ١٩٦٠ .

١٥- جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، القاهرة . دار الهلال ١٩١١ .

١٦- حسان بن ثابت : ديوان حسان بن ثابت - تحقيق سيد حنفى . القاهرة ، دار المعارف ١٩٨٣ .

١٧- شكرى فيصل : تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام . دمشق مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٤ .

١٨- شوقى ضيف : النقد ، القاهرة . دار المعارف (الطبعة الرابعة) .

١٩- عمر فروخ : تاريخ الأدب العربى ، بيروت . دار العلم للملايين ١٩٦٩ .

٢٠- كعب بن مالك : ديوان كعب بن مالك الأنصارى - تحقيق سامى مكى - بغداد ، مطبعة المعارف ١٩٦٥ .

٢١ - محمد مصطفى هدارة : دراسات فى الشعر العربى ، الاسكندرية دار المعرفة الجامعية ١٩٨٢ .